على الذات الفلسطينية على دور الفلسطينيين، اذا هم أخذوا قضيتهم بيدهم. مع ذلك، كان أصحاب هذا الاتجاه أيضاً يعون جيداً الارتباط بين واقعهم الوطني الفلسطيني والواقع العربي. يقول خالد الحسن، أحد مؤسسي حركة فتح «واذا درست كل الشواهد المتوفرة من وجهة نظر موضوعية، فإنك ستجد ان المؤامرة لم تكن تستهدف الفلسطينيين فقط... وإنما المنطقة بأسرها، والعالم العربي بأسره... وهذا هو السبب الذي يدفعني الى القول دائماً ان كفاحنا ينبغي ألا يبدأ في فلسطين.. اذ ان الكفاح يجب ان ينتهي في فلسطين، لا أن يبدأ فيها»[١٧]. وكان أصحاب هذا الاتجاه يستلهمون في الخمسينات تجربة الثورة الجزائرية واستقلاليتها عن الوصاية العربية «ولما كنا نرتاب في كافة الانظمة العربية، المحافظة منها والتقدمية، فإن تقديرنا بان الكفاح المسلح الذي يستحق هذه التسمية، هو كفاح ينبغي ان يعده وينظمه ويخوضه الفلسطينيون الى غايته بدون ان يكون لهم أي ارتباط بغير شعبهم. وانما كان أساس ريبتنا وحذرنا هو التجربة. فرفيقنا أبو جهاد (خليل الوزير)، مثلاً، وهو أحد مؤسسي فتح... نظم عام ١٩٥٤ غارة ضد اسرائيل انطلقت من غزة، فكان ان أوقفه الأمن المصري فوراً»[١٨]. وكان مهد أصحاب هذا الاتجاه قطاع غزة الذي عانى في الخمسينات من الضغط الاسرائيلي (غارة ١٩٥٥ والعدوان الثلاثي ١٩٥٦)، وفي مواجهته خبروا أهمية العمل الفدائي. أما أصحاب الاتجاهات القومية العروبية، فكان مهدها مخيمات لبنان وسوريا والاردن.

شكلت المخيمات الفلسطينية أرضاً خصبة لاحتواء التيار الوطني الفلسطيني الوليد. فالفلسطينيون كانوا في منافيهم يصطفون في ادنى درجات السلم الاجتماعي، ليس قصوراً منهم، بل بحكم معاملة الدول المضيفة لهم التي لم تكن تخلو من اتهامهم ببيع أراضيهم لليهود وانفاق ثمنها على الملذات. تلك المعاملة عززت فلسطينيتهم، ودفعتهم الى البحث عن سبل للتمايز عن أشقائهم العرب الذين كانوا يرتاحون في كنف حكوماتهم. كان تحصيل العلم هو الوسيلة (أعلى نسبة متعلمين في المنطقة العربية هي بين الفلسطينيين) التي تفتح أمامهم سبل تحسين أوضاعهم الاجتماعية، وكان التفاني في النضال السياسي داخل المنظمات السياسية العربية نوعاً من التأكيد على مصداقية وطنيتهم وقوميتهم. وهكذا ظلوا حضوراً مادياً في الوسط العربي يذكرون الحكومات، بما جنته عليهم، ويذكرون الجماهير العربية بقضيتهم، بالشعار السياسي، وبالقصيدة الادبية، ولم يكن لدى الفلسطينين ما يخسرونه.

الخلافات العربية بوابة للكيان الفلسطيني

شهدت فترة أواخر الخمسينات وبداية الستينات خلافات حادة بين الزعامات العربية على زعامة المنطقة. ولم يقتصر الخلاف على ما عرف آنذاك تحت تسمية الرجعية والتقدمية، حيث مثل الاتجاه الأول، حسب تصنيفات تلك المرحلة، الملوك العرب، ومثل التيار الثاني الجمهوريون وعلى رأسهم رئيس مصر عبد الناصر، بل تعدت ذلك الى داخل الاتجاه الواحد. وكانت القضية الفلسطينية محوراً. ففي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٩، أطلق عبد الكريم قاسم، حاكم العراق، «فكرة انشاء جمهورية فلسطين العربية... منتقداً مصر والاردن اللذين اقتطعا كل منهما لنفسه جزءاً من فلسطين. ووصف الرئيس عبد الناصر الفكرة العراقية بالمناورة الدنيئة، بينما أكد رئيس الوزراء الاردني هزاع المجالي، ان الفريق عبد الكريم قاسم يتآمر ضد القومية العربية وضد